الودائع . فلقيت البراء فقلت ألا تسمع مايقول أخوك عبد الله ؟ فقال صدق وقال شريك وحدثنا عياش العامرى عن زاذان عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ولم يذكر الأمانة فى الصلاة وفى كل شيء اسناده جيد ولم يخرجوه . ومما يتعلق بالأمانة الحديث الذى رواه الإمام أحمد حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن حذيفة رضى الله عنه قال : حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر حدثنا أن الأمانة نزلت فى جذر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة . ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال : ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر المجل كجمر دحرجته على رجلك تراه منتبرا وليس فيه شيء — قال ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله قال — فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤدى الأمانة حتى يقال إن فى بنى فلان رجلا أمينا ، حتى يقال للرجل ما أجلده وأظرفه وأعقله وما فى قلبه حبة خردل من إيمان ، ولقد أتى على زمان وما أبالى أيكم بايعت إن كان مسلماً ليردنه علىّ دينه ، وإن كان نصرانيا أو يهوديا ليردنه علىّ ساعيه فأما اليوم فما كنت أبايع منكم إلا فلانا وفلانا . وأخرجاه فى الصحيحين من حديث الأعمش به . وقال الإمام أحمد حدثنا حسن حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد الحضرمى عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما أن رسول الله صلى عليه وسلم قال « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا ، حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » هكذا رواه الإمام أحمد فى مسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما ، وقد قال الطبرانى فى مسنده عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما ، حدثنا يحيى بن أيوب العلاف المصرى حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا ابن لهيعة عن الحارث بن يزيد عن ابن حجيرة عن عبد الله بن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع إذا كن فيك فلا عليك ما فاتك من الدنيا حفظ أمانة وصدق حديث وحسن خليقة وعفة طعمة » فزاد فى الاسناد ابن حجيرة وجعله فى مسند ابن عمر رضى الله عنهما وقد ورد النهى عن الحلف بالأمانة قال عبد الله بن المبارك فى كتاب الزهد حدثنا شريك عن أبى إسحاق الشيبانى عن خناس بن سحيم أو قال جبلة بن سحيم قال أقبلت مع زياد بن حدير من الجابية فقلت فى كلامى لا و الأمانة فجعل زياد يبكى ويبكى فظننت أنى أوتيت أمراً عظيما فقلت له أ كان يكره هذا ؟ قال : نعم ، كان عمر بن الخطاب ينهى عن الحلف بالأمانة أشد النهى وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع قال أبو داود حدثنا أحمد بن عبد الله بن يونس حدثنا زهير حدثنا الوليد بن ثعلبة الطائى عن ابن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من حلف بالأمانة فليس منا » تفرد به أبو داود رحمه الله ، وقوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أى إنما حمل بنى آدم الأمانة وهى التكاليف ليعذب الله المنافقين منهم والمنافقات ، وهم الذين يظهرون الإيمان خوفا من أهله ويبطنون الكفر متابعة لأهله (والمشركين والمشركات) وهم الذين ظاهرهم وباطنهم على الشرك بالله ومخالفة رسله (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أى وليرحم المؤمنين من الخلق الذى آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله العاملين بطاعته (وكان الله غفوراً رحيما) آخر تفسير سورة الأحزاب ولله الحمد والمنة .

﴿ تفسير سورة سبأ وهى مكية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

﴿ الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض وله الحمد فى الآخرة وهو الحكيم الخبير * يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور ﴾

يخبر تعالى عن نفسه الكريمة أن له الحمد المطلق فى الدنيا والآخرة لأنه المنعم المتفضل على أهل الدنيا والآخرة ،

المالك لجميع ذلك الحاكم فى جميع ذلك كما قال تعالى (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد فى الأولى والآخرة وله الحكم وإليه ترجعون) ولهذا قال تعالى ههنا (الحمد لله الذى له ما فى السموات وما فى الأرض) أى الجميع ملكه وعبيده وتحت تصرفه وقهره كما قال تعالى (وإن لنا للآخرة والأولى) ثم قال عز وجل (وله الحمد فى الآخرة) فهو المعبود أبدا، المحمود على طول المدى وقوله تعالى (وهو الحكيم) أى فى أقواله وأفعاله وشرعه وقدره (الخبير) الذى لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه شىء وقال مالك عن الزهرى: خبير بخلقه حكيم بأمره، ولهذا قال عز وجل (يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها) أى يعلم عدد القطر النازل فى أجزاء الأرض والحب المبذور والكامن فيها، ويعلم ما يخرج من ذلك عدده وكيفيته وصفاته (وما ينزل من السماء) أى من قطر ورزق، وما يعرج فيها أى من الأعمال الصالحة وغير ذلك (وهو الرحيم الغفور) أى الرحيم بعباده فلا يعاجل عصاتهم بالعقوبة الغفور عن ذنوب التائبين إليه المتوكلين عليه

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ * لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُولَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَٱلَّذِينَ سَعَوْا فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ * وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾

هـذه إحدى الآيات الثلاث التى لا رابع لهن مما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقسم بربه العظيم على وقوع المعاد لما أنكره من أنكره من أهل الكفر والعناد، فإحداهن فى سورة يونس عليه السلام وهى قوله تعالى (ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم معجزين) والثانية هذه (وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربى لتأتينكم) والثالثة فى سورة التغابن وهى قوله تعالى (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا قل بلى وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير) فقال تعالى (قل بلى وربى لتأتينكم) ثم وصفه بما يؤكد ذلك ويقرره فقال (عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين) قال مجاهد وقتادة لا يعزب عنه لا يغيب عنه أى الجميع مندرج تحت علمه فلا يخفى عليه شىء، فالعظام وإن تلاشت وتفرقت وتمزقت فهو عالم أين ذهبت وأين تفرقت ثم يعيدها كما بدأها أول مرة فانه بكل شىء عليم. ثم بين حكمته فى إعادة الأبدان وقيام الساعة بقوله تعالى (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة ورزق كريم * والذين سعوا فى آياتنا معاجزين) أى سعوا فى الصد عن سبيل الله تعالى وتكذيب رسله (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) أى لينعم السعداء من المؤمنين ويعذب الأشقياء من الكافرين كما قال عز وجل (لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون) وقال تعالى (أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار)

وقوله تعالى (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق) هذه حكمة أخرى معطوفة على التى قبلها وهى أن المؤمنين بما أنزل على الرسل إذا شاهدوا قيام الساعة ومجازاة الأبرار والفجار بالذى كانوا قد علموه من كتب الله تعالى فى الدنيا رأوه حينئذ عين اليقين ويقولون يومئذ أيضاً (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) يقال أيضا (هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (لقد لبثتم فى كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث) (ويرى الذين أوتوا العلم الذى أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدى إلى صراط العزيز الحميد) العزيز هو المنيع الجناب الذى لا يغالب ولا يمانع بل قد قهر كل شىء وغلبه الحميد فى جميع أقواله وأفعاله وشرعه وقدره وهو المحمود فى ذلك كله جل وعلا

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ * أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ * أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنْ نَشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴾

هذا إخبار من الله عز وجل عن استبعاد الكفرة الملحدين قيام الساعة واستهزائهم بالرسول ﷺ فى إخباره بذلك (وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبئكم إذا مزقتم كل ممزق) أى تفرقت أجسادكم فى الأرض وذهبت فيها كل مذهب وتمزقت كل ممزق (إنكم) أى بعد هذا الحال (لفى خلق جديد) أى تعودون أحياء ترزقون بعد ذلك وهو فى هذا الإخبار لايخلو أمره من قسمين إما أن يكون قد تعمد الافتراء على الله تعالى أنه قد أوحى إليه ذلك أو أنه لم يتعمد لكن لبس عليه كما يلبس على المعتوه والمجنون ولهذا قالوا (أفترى على الله كذبا أم به جنة) قال الله عزوجل رادا عليهم (بل الذين لايؤمنين بالآخرة فى العذاب والضلال البعيد) أى ليس الأمر كما زعموا ولا كما ذهبوا إليه بل محمد صلى الله عليه وسلم هو الصادق البار الراشد الذى جاء بالحق، وهم الكذبة الجهلة الأغبياء (فى العذاب) أى الكفر المفضى بهم إلى عذاب الله تعالى (والضلال البعيد) من الحق فى الدنيا ثم ، قال تعالى منبهاً لهم على قدرته فى خلق السموات والأرض فقال تعالى (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) أى حيثما توجهوا وذهبوا فالسماء مطلة عليهم والأرض تحتهم كما قال عز وجل (والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون * والأرض فرشناها فنعم الماهدون) : قال عبد بن حميد أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن قتادة (أفلم يروا إلى مابين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) قال إنك إن نظرت عن يمينك أو عن شمالك أومن بين يديك أومن خلفك رأيت السماء والأرض . وقوله تعالى (إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفاً من السماء) أى لو شئنا لفعلنا بهم ذلك بظلمهم وقدرتنا عليهم ولكن نؤخر ذلك لحلمنا وعفونا ثم قال (إن فى ذلك لآية لكل عبد منيب) قال معمر عن قتادة (منيب) تائب ؟ وقال سفيان عن قتادة: المنيب المقبل إلى الله تعالى أى إن فى النظر إلى خلق السموات والأرض لدلالة لكل عبد فطن لبيب رجاع إلى الله ، على قدرة الله تعالى على بعث الاجساد ووقوع المعاد لأن من قدر على خلق هذه السموات فى ارتفاعها واتساعها وهذه الأرضين فى انخفاضها ، وأطوالها وأعراضها إنه لقادر على إعادة الأجسام ونشر الرميم من العظام ، كما قال تعالى (أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم بلى) وقال تعالى (لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون)

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

يخبر تعالى عما أنعم به على عبده ورسوله داود عليه الصلاة السلام مما آتاه من الفضل المبين وجمع له بين النبوة والملك المتمكن ، والجنود ذوى العدد والعدد ،وما أعطاه ومنحه من الصوت العظيم الذى كان إذا سبح به تسبح معه الجبال الراسيات . الصم الشامخات ، وتقف له الطيور السارحات : والغاديات والرائحات ، وتجاوبه بأنواع اللغات . وفى الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع صوت أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه يقرأ من الليل فوقف فاستمع لقراءته ثم قال صلى الله عليه وسلم « لقد أوتى هذا مزماراً من مزامير آل داود » وقال أبو عثمان

النهدى ما سمعت صوت صنج ولا بربط ولا وتر أحسن من صوت أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه ، ومعنى قوله تعالى (أوبى) أى سبحى قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد وزعم أبو ميسرة أنه بمعنى سبحى بلسان الحبشة وفى هذا نظر فان التأويب فى اللغة هو الترجيع فأمرت الجبال والطير أن ترجع معه بأصواتها وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجى فى كتابه ـ الجمل ـ فى باب النداء منه (ياجبال أوبى معه) أى سيرى معه بالنهار كله والتأويب سير النهار كله ، والإسآد سير الليل كله وهذا لفظه وهو غريب جداً لم أره لغيره وإن كان له مساعدة من حيث اللفظ فى اللغة لكنه بعيد فى معنى الآية ههنا والصواب أن المعنى فى قوله تعالى (أوبى معه) أى رجعى مسبحة معه كما تقدم والله أعلم وقوله تعالى (وألنا له الحديد) قال الحسن البصرى وقتادة والأعمش وغيرهم كان لا يحتاج أن يدخله ناراً ولا يضربه بمطرقة ، بل كان يفتله بيده مثل الخيوط ولهذا قال تعالى (أن اعمل سابغات) وهى الدروع قال قتادة وهو أول من عملها من الخلق وإنما كانت قبل ذلك صفائح ، وقال ابن أبى حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا ابن مسعدة حدثنا ابن ضمرة عن ابن شوذب قال : كان داود عليه السلام يرفع فى كل يوم درعاً فيبيعها بستة آلاف درهم ألفين له ولأهله وأربعة آلاف درهم يطعم بها بنى إسرائيل خبز الحوارى (وقدر فى السرد) هذا إرشاد من الله تعالى لنبيه داود عليه السلام فى تعليمه صنعة الدروع ، قال مجاهد فى قوله تعالى (وقدر فى السرد) لاتدق المسمار فيقلق فى الحلقة ولا تغلظه فيقصمها واجعله بقدر ، وقال الحكم بن عيينة لا تغلظه فيقصم ولا تدقه فيقلق ، وهكذا روى عن قتادة وغير واحد وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس : السرد : حلق الحديد . وقال بعضهم يقال درع مسرودة إذا كانت مسمورة الحلق واستشهد بقول الشاعر :

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر فى ترجمة داود عليه الصلاة والسلام من طريق إسحاق بن بشر وفيه كلام عن أبى الياس عن وهب بن منبه ما مضمونه أن داود عليه السلام كان يخرج متنكرا فيسأل الركبان عنه وعن سيرته فلا يسأل أحدا إلا أثنى عليه خيرا فى عبادته وسيرته وعدله عليه السلام ، قال وهب حتى بعث الله تعالى ملكا فى صورة رجل فلقيه داود عليه الصلاة والسلام فسأله كما كان يسأل غيره فقال هو خير الناس لنفسه ولأمته إلا أن فيه خصلة لو لم تكن فيه كان كاملا قال ما هى ؟ قال يأكل ويطعم عياله من مال المسلمين يعنى بيت المال فعند ذلك نصب داود عليه السلام إلى ربه عزوجل فى الدعاء أن يعلمه عملا بيده يستغنى به ويغنى به عياله فألان الله عز وجل له الحديد وعلمه صنعة الدروع فعمل الدروع وهو أول من عملها فقال الله تعالى (أن اعمل سابغات وقدر فى السرد) يعنى مسامير الحلق ، قال وكان يعمل الدرع فإذا ارتفع من عمله درع باعها فتصدق بثلثها واشترى بثلثها ما يكفيه وعياله ، وأمسك الثلث يتصدق به يوما بيوم إلى أن يعمل غيرها وقال إن الله تعالى أعطى داود شيئا لم يعطه غيره من حسن الصوت إنه كان إذا قرأ الزبور تجتمع الوحوش إليه حتى يؤخذ بأعناقها وما تنفر وما صنعت الشياطين المزامير والبرابط والصنوج إلا على أصناف صوته عليه السلام وكان شديد الاجتهاد ، وكان إذا افتتح الزبور بالقراءة كأنما ينفخ فى المزامير ، وكان قد أعطى سبعين مزمارا فى حلقه ، وقوله تعالى (واعملوا صالحا) أى فى الذى أعطاكم الله تعالى من النعم (إنى بما تعملون بصير) أى مراقب لكم بصير بأعمالكم وأقوالكم لايخفى على من ذلك شىء

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ * يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴾

لما ذكر تعالى ما أنعم به على داود عطف بذكر ما أعطى ابنه سليمان عليهما الصلاة والسلام من تسخير الريح له

تحمل بساطه غدوها شهر ورواحها شهر . قال الحسن البصرى كان يغدو على بساطه من دمشق فينزل باصطخر يتغدى بها ويذهب رائحا من اصطخر فيبيت بكابل ، وبين دمشق واصطخر شهر كامل للمسرع ، وبين اصطخر وكابل شهر كامل للمسرع . وقوله تعالى (وأسلنا له عين القطر) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراسانى وقتادة والسدى ومالك عن زيد بن أسلم وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم وغير واحد القطر النحاس قال قتادة وكانت باليمن فكل مايصنع الناس مما أخرج الله تعالى لسليمان عليه السلام ، قال السدى وإنما أسيلت له ثلاثة أيام وقوله تعالى (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) أى وسخرنا له الجن يعملون بين يديه بإذن ربه أى بقدره وتسخيره لهم بمشيئته مايشاء من البنايات وغيرذلك (ومن يزغ منهم عن أمرنا) أى ومن يعدل ويخرج منهم عن الطاعة (نذقه من عذاب السعير) وهو الحريق . وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا حديثا غريبا فقال حدثنا أبى حدثنا أبو صالح حدثنا معاوية بن صالح عن أبى الزهراء عن جبير بن نفير عن أبى ثعلبة الخشنى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « الجن على ثلاثة أصناف صنف لهم أجنحة يطيرون فى الهواء وصنف حيات وكلاب وصنف يحلون ويظعنون » رفعه غريب جدا . وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا حرملة حدثنا ابن وهب أخبرنى بكر بن مضر عن محمد بن بحير عن ابن أنعم أنه قال : الجن ثلاثة أصناف صنف لهم الثواب وعليهم العقاب ، وصنف طيارون فيما بين السماء والأرض وصنف حيات وكلاب . قال بكر بن مضر ولاأعلم إلاأنه قال حدثنى أن الإنس ثلاثة أصناف ، صنف يظلهم الله بظل عرشه يوم القيامة . وصنف كالأنعام بل هم أضل سبيلا . وصنف فى صور الناس على قلوب الشياطين . وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا على بن هاشم بن مرزوق حدثنا سلمة يعنى ابن الفضل عن إسماعيل عن الحسن قال الجن ولد إبليس والإنس ولد آدم ومن هؤلاء مؤمنون ومن هؤلاء مؤمنون وهم شركاؤهم فى الثواب والعقاب ومن كان من هؤلاء وهؤلاء مؤمنا فهو ولى الله تعالى ومن كان من هؤلاء وهؤلاء كافرا فهو شيطان . وقوله تعالى (يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل) أما المحاريب فهى البناء الحسن وهو أشرف شىء فى المسكن وصدره وقال مجاهد المحاريب بنيان دون القصور . وقال الضحاك هى المساجد وقال قتادة هى القصور والمساجد وقال ابن زيد هى المساكن . وأما التماثيل فقال عطية العوفى والضحاك والسدى: التماثيل الصور. قال مجاهد وكانت من نحاس وقال قتادة من طين وزجاج

وقوله تعالى (وجفان كالجواب وقدور راسيات) الجواب جمع جابية وهى الحوض الذى يجبى فيه الماء كما قال الأعشى ميمون بن قيس:

تروح على آل المحلق جفنة كجابية الشيخ العراقى تفهق

وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما (كالجواب) أى كالجوبة من الأرض وقال العوفى عنه كالحياض وكذا قال مجاهد والحسن وقتادة والضحاك وغيرهم. والقدور الراسيات أى الثابتات فى أماكنها لاتتحرك ولا تتحول عن أماكنها لعظمها كذا قال مجاهد والضحاك وغيرهما وقال عكرمة أثافيها منها وقوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا) أى وقلنا لهم اعملوا شكراً على ما أنعم به عليكم فى الدين والدنيا ، وشكرا مصدر من غير الفعل أو أنه مفعول له وعلى التقديرين فيه دلالة على أن الشكر يكون بالفعل كما يكون بالقول والنية كما قال الشاعر :

أفادتكم النعماء منى ثلاثة يدى ولسانى والضمير المحجبا

قال أبو عبد الرحمن السلمى : الصلاة شكر والصيام شكر وكل خير تعمله لله عز وجل شكر وأفضل الشكر الحمد رواه ابن جرير وروى هو وابن أبى حاتم عن محمد بن كعب القرظى قال الشكر تقوى الله تعالى والعمل الصالح وهذا يقال لمن هو متلبس بالفعل . وقد كان آل داود عليهم السلام كذلك قائمين بشكر الله تعالى قولا وعملا . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا عبد الله بن أبى بكر حدثنا جعفر يعنى ابن سليمان عن ثابت البنانى قال كان داود عليه السلام قد جزأ على أهله وولده ونسائه الصلاة فكان لاتأتى عليهم ساعة من الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلى فعمرتهم هذه الآية (اعملوا آل داود شكرا وقليل من عبادى الشكور) وفى الصحيحين عن رسول الله ﷺ

أنه قال « إن أحب الصلاة إلى الله تعالى صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ولا يفر إذا لاقى » . وقد روى أبو عبد الله بن ماجه من حديث سعيد بن داود حدثنا يوسف بن محمد بن المنكدر عن أبيه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قالت أم سليمان بن داود عليهم السلام لسليمان يا بنى لا تكثر النوم بالليل فان كثرة النوم بالليل تترك الرجل فقيراً يوم القيامة » وروى ابن أبى حاتم عن داود عليه الصلاة والسلام ههنا أثرا غريبا مطولا جدا ، وقال أيضا حدثنا أبى حدثنا عمران بن موسى حدثنا أبو زيد قبيصة بن إسحق الرقى قال : قال فضيل فى قوله تعالى (اعملوا آل داود شكرا) قال داود يارب كيف أشكرك والشكر نعمة منك ؟ قال « الآن شكرتنى حين علمت أن النعمة منى » وقوله تعالى (وقليل من عبادى الشكور) إخبار عن الواقع

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴾

يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام وكيف عمى الله موته على الجان المسخرين له فى الأعمال الشاقة فانه مكث متوكئا على عصاه وهى منسأته كما قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد مدة طويلة محوا من سنة فلما أكلتها دابة الأرض وهى الأرضة ضعفت وسقط إلى الأرض وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة ، وتبينت الجن والإنس أيضا أن الجن لا يعلمون الغيب كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك . وقد ورد فى ذلك حديث مرفوع غريب وفى صحته نظر . قال ابن جرير حدثنا أحمد بن منصور حدثنا موسى بن مسعود حدثنا أبو حذيفة حدثنا إبراهيم بن طهمان عن عطاء عن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال « كان نبى الله سليمان عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها ما اسمك ؟ فتقول كذا فيقول لأى شىء أنت فان كانت تغرس غرست وإن كانت لدواء كتبت ، فبينما هو يصلى ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه فقال لها ما اسمك ، قالت الخروب قال لأى شىء أنت ؟ قالت لخراب هذا البيت فقال سليمان عليه السلام اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب فنحتها عصاً فتوكأ عليها حولا ميتا والجن تعمل ، فأكلتها الأرضة فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولا فى العذاب المهين » قال وكان ابن عباس يقرؤها كذلك قال فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء وهكذا رواه ابن أبى حاتم من حديث إبراهيم بن طهمان به وفى رفعه غرابة ونكارة والأقرب أن يكون موقوفا وعطاء بن أبى مسلم الخراسانى له غرابات وفى بعض حديثه نكارة . وقال السدى فى حديثه نكارة وقال السدى فى حديث ذكره عن أبى مالك عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما وعن مرة الهمدانى عن ابن مسعود رضى الله عنه وعن ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى الله عنهم قال : كان سليمان عليه الصلاة السلام يتحرر فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فأدخله فى المرة التى توفى فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا ينبت الله فى بيت المقدس شجرة فيأتيها فيسألها ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فان كانت لغرس غرسها وإن كانت تنبت دواء قالت نبت دواء كذا وكذا فيجعلها كذلك ، حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك قالت أنا الخروبة قال ولأى شىء نبت قالت نبت لخراب هذا المسجد قال سليمان عليه الصلاة والسلام ما كان الله ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له ثم دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين وهم فى ذلك يعملون له يخافون أن يخرج عليهم فيعاقبهم ، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب وكان المحراب له كوى بين يديه وخلفه فكان الشيطان الذى يريد أن يخلع يقول ألست جلدا إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر

إلى سليمان عليه السلام فى المحراب إلا احترق فمر ولم يسمع صوت سليمان ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع فى البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فأخرجوه. ووجدو منسأته وهى العصا بلسان الحبشة قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وهى فى قراءة ابن مسعود رضى الله عنه . فمكثوا يدينون له من بعد موته حولا كاملا ، فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبونهم ولو أنهم يطلعون على الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا فى العذاب سنة يعملون له ؛ وذلك قول الله عز وجل (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين) يقول تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبونهم ، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة لو كنت تأكلين الطعام أتيناك بأطيب الطعام ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطب الشراب ولكنا سننقل إليك الماء والطين قال فهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت، قال ألم تر إلى الطين الذى يكون فى جوف الخشب ! فهو ما تأتيها به الشياطين شكرا لها ، وهذا الأثر والله أعلم إنما هو مما تلقى من علماء أهل الكتاب وهى وقف لا يصدق منه إلا ما وافق الحق ولا يكذب منها إلا ما خالف الحق والباقى لا يصدق ولا يكذب ، وقال ابن وهب وأصبغ بن الفرج عن عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم فى قوله تبارك وتعالى (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) قال : قال سليمان عليه السلام لملك الموت إذا أمرت بى فأعلمنى فأتاه فقال : يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير وليس له باب فقام يصلى فاتكأ على عصاه ، قال فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكىء على عصاه ولم يصنع ذلك فرارا من ملك الموت ، قال والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حى قال فبعث الله عز وجل دابة الأرض قال والدابة تأكل العيدان يقال لها القادح فدخلت فيها فأكلتها حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخر ميتاً ، فلما رأت ذلك الجن انفضوا وذهبوا قال فذلك قوله تعالى (ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته) قال أصبغ بلغنى عن غيره أنها قامت سنة تأكل منها قبل أن يخر ، وذكر غير واحد من السلف نحوا من هذا والله أعلم

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾

كانت سبأ ملوك اليمن وأهلها وكانت التبابعة منهم وبلقيس صاحبة سليمان عليه الصلاة والسلام من جملتهم وكانوا فى نعمة وغبطة فى بلادهم وعيشهم واتساع أرزاقهم وزروعهم وثمارهم وبعث الله تبارك وتعالى إليهم الرسل تأمرهم أن يأكلوا من رزقه ويشكروه بتوحيده وعبادته فكانوا كذلك ما شاء الله تعالى ثم أعرضوا عما أمروا به فعوقبوا بارسال السيل والتفرق فى البلاد أيدى سبأ شذر مذر كما سيأتى إن شاء الله تعالى تفصيله وبيانه قريبا وبه الثقة ، قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا أبو عبد الرحمن حدثنا ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة عن عبد الرحمن بن وعلة قال سمعت ابن عباس يقول إن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو أرجل أم امرأة أم أرض ؟ قال صلى الله عليه وسلم « بل هو رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام منهم أربعة فأما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير ، وأما الشامية فلخم وجذام وعاملة وغسان » ورواه عن عبد عن الحسن بن موسى عن ابن لهيعة به وهذا إسناد حسن ولم يخرجوه وقد رواه الحافظ أبو عمر بن عبد البر فى كتاب القصد والأمم ، بمعرفة أصول أنساب العرب والعجم — من حديث ابن لهيعة عن علقمة بن وعلة عن ابن عباس رضى الله عنهما فذكر نحوه . وقد روى نحوه من وجه آخر وقال الإمام أحمد أيضاً وعبد بن حميد حدثنا يزيد بن هارون حدثنا أبو جناب يحيى بن أبى حية الكلبى عن

ابن هارون عن عروة عن فروة بن مسيك رضى الله عنه قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله أقاتل بمقبل قومى مدبرهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « نعم فقاتل بمقبل قومك مدبرهم » فلما وليت دعانى فقال « لاتقاتلهم حتى تدعوهم إلى الإسلام » فقلت يارسول الله أرأيت سبأ وادهو أو جبل أوماهو ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لابل هو رجل من العرب ولد له عشرة فتيامن ستة وتشاءم أربعة تيامن الأزد والأشعريون وحمير وكندة ومذحج وأنمار الذين يقال لهم بجيلة وخثعم ، وتشاءم لخم وجذام وعاملة وغسان » وهذا أيضا إسناد حسن وإن كان فيه أبو جناب الكلبي وقد تكلموا فيه لكن رواه ابن جرير عن أبى كريب عن العنقرى عن أسباط بن نصر عن يحيى بن هانىء المرادى عن عمه أو عن أبيه — شك أسباط — قال قدم فروة بن مسيك رضى الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكره ﴿ طريق أخرى ﴾ لهذا الحديث : قال ابن أبى حاتم حدثنا يونس بن عبد الأعلى حدثنا ابن وهب حدثنى ابن لهيعة عن توبة بن نمير عن عبد العزيز بن محى أنه أخبره قال كنا عند عبيدة بن عبد الرحمن بافريقية فقال يوما ما أظن قوما بأرض إلا وهم من أهلها فقال على بن أبى رباح كلا قد حدثنى فلان أن فروة بن مسيك الغطيفى رضى الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله إن سبأ قوم كان لهم عز فى الجاهلية وإنى أخشى أن يرتدوا عن الإسلام أفأقاتلهم فقال ﷺ « ما أمرت فيهم بشىء بعد » فأنزلت هذه الآية (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية) الآيات فقال له رجل يارسول الله ماسبأ ! فذكر مثل هذا الحديث الذى قبله أن رسول الله ﷺ سئل عن سبأ ؟ ماهو أبلد أم رجل أم امرأة ؟ قال ﷺ « بل رجل ولد له عشرة فسكن اليمن منهم ستة والشام أربعة أما اليمانيون فمذحج وكندة والأزد والأشعريون وأنمار وحمير غير ماحلها وأما الشام فلخم وجذام وغسان وعاملة » فيه غرابة من حيث ذكر نزول الآية بالمدينة والسورة مكية كلها والله سبحانه وتعالى أعلم

﴿ طريق أخرى ﴾ قال ابن جرير حدثنا أبو كريب حدثنا أبو أسامة حدثنا الحسن بن الحكم حدثنا أبو سبرة النخعى فروة بن مسيك الغطيفى رضى الله عنه قال : قال رجل يارسول الله أخبرنى عن سبأ ماهو أرض أم امرأة ؟ قال ﷺ « ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد فتيامن ستة وتشاءم أربعة فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومذحج وحمير وأنمار » فقال رجل ما أنمار ؟ قال ﷺ « الذين منهم خثعم وبجيلة » ورواه الترمذى فى جامعه عن أبى كريب وعبد بن حميد قال حدثنا أبو أسامة فذكره أبسط من هذا ثم قال هذا حديث حسن غريب . وقال أبو عمر بن عبد البر حدثنا عبد الوارث بن سفيان حدثنا قاسم بن أصبغ حدثنا أحمد بن زهير حدثنا عبد الوهاب بن نجدة الحوطى حدثنا ابن كثير هو عثمان بن كثير عن الليث بن سعد عن موسى بن على عن يزيد بن حصين عن تميم الدارى رضى الله عنه قال إن رجلا أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن سبأ فذكر مثله فقوى هذا الحديث وحسن . قال علماء النسب — منهم محمد بن إسحاق — اسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وإنما سمى سبأ لأنه أول من سبأ فى العرب وكان يقال له الرائش لأنه أول من غنم فى الغزو فأعطى قومه فسمى الرائش ، والعرب تسمى المال ريشا ورياشا . وذكروا أنه بشر برسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمانه المتقدم وقال فى ذلك شعرا :

سيملك بعدنا ملكا عظيما ... نبى لايرخص فى الحرام ... ويملك بعده منهم ملوك
يدينون القياد بكل دامى ... ويملك بعدهم منا ملوك ... يصير الملك فينا باقتسام
ويملك بعد قحطان نبى ... تقى مخبت خير الأنام ... يسمى أحمداً ياليت أنى
أعمر بعد مبعثه بعام ... فأعضده وأحبوه بنصرى ... بكل مدجج وبكل رام
متى يظهر فكونوا ناصريه ... ومن يلقاه يبلغه سلامى

ذكر ذلك الهمذانى فى كتاب — الا كليل — واختلفوا فى قحطان على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه من سلالة إرم ابن سام بن نوح واختلفوا فى كيفية اتصال نسبة به على ثلاثة طرائق (والثانى) أنه من سلالة عابر وهو هود عليه

الصلاة والسلام واختلفوا أيضا فى كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا (والثالث) أنه من سلالة إسماعيل ابن إبراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ، واختلفوا فى كيفية اتصال نسبه به على ثلاث طرائق أيضا . وقد ذكر ذلك مستقصى الإمام الحافظ أبو عمر بن عبد البر النمرى رحمة الله تعالى عليه فى كتابه المسمى ـ الانباه على ذكر أصول القبائل الرواه ـ ومعنى قوله ﷺ « كان رجلا من العرب » يعنى العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل عليه الصلاة والسلام من سلالة سام بن نوح ، وعلى القول الثالث كان من سلالة الخليل عليه السلام وليس هذا بالمشهور عندهم والله أعلم . ولكن فى صحيح البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر بنفر من أسلم ينتضلون فقال « ارموا بنى إسماعيل فان أباكم كان راميا » فأسلم قبيلة من الأنصار ـ والأنصار أوسها وخزرجها من غسان من عرب اليمن من سبأ ـ نزلوا بيثرب لما تفرقت سبأ فى البلاد حين بعث الله عز وجل عليهم سيل العرم ونزلت طائفة منهم بالشام ، وإنما قيل لهم غسان بماء نزلوا عليه قيل باليمن ، وقيل إنه قريب من المشلل كما قال حسان بن ثابت رضى الله عنه

إما سألت فانا معشر نجب الأزد نسبتنا والماء غسان

ومعنى قوله ﷺ « ولد له عشرة من العرب » أى كان من نسله هؤلاء العشرة الذين يرجع اليهم أصول القبائل من عرب اليمن لأنهم ولدوا من صلبه بل منهم من بينه وبينه الأبوان والثلاثة والأقل والأكثر كما هو مقرر مبين فى مواضعه من كتب النسب . ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم « فتيامن منهم ستة وتشاءم منهم أربعة » أى بعد ما أرسل الله تعالى عليهم سيل العرم منهم من أقام ببلادهم ومنهم من نزح عنها إلى غيرها . وكان من أمر السد أنه كان الماء يأتيهم من بين جبلين وتجتمع اليه أيضا سيول أمطارهم وأوديتهم فعمد ملوكهم الأقادم فبنوا بينهما سداً عظيما محكما حتى ارتفع الماء وحكم على حافات ذينك الجبلين فغرسوا الأشجار واستغلوا الثمار فى غاية ما يكون من الكثرة والحسن كما ذكر غير واحد من السلف منهم قتادة أن المرأة كانت تمشى تحت الأشجار وعلى رأسها مكتل أو زنبيل وهو الذى تخترف فيه الثمار فيتساقط من الأشجار فى ذلك ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف لكثرته ونضجه واستوائه ، وكان هذا السد بمأرب بلدة بينها وبين صنعاء ثلاث مراحل ، ويعرف بسد مأرب وذكر آخرون أنه لم يكن ببلدهم شىء من الذباب ولا البعوض ولا البراغيث ولا شىء من الهوام وذلك لاعتدال الهواء وصحة المزاج وعناية الله بهم ليوحدوه ويعبدوه كما قال تبارك وتعالى (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية) ثم فسرها بقوله عز وجل (جنتان عن يمين وشمال) أى من ناحيتى الجبلين والبلدة بين ذلك (كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور) أى غفور لكم إن استمررتم على التوحيد . وقوله تعالى (فأعرضوا) أى عن توحيد الله وعبادته وشكره على ما أنعم به عليهم وعدلوا إلى عبادة الشمس من دون الله كما قال الهدهد لسليمان عليه الصلاة والسلام (وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إنى وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شىء ولها عرش عظيم * وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون) وقال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه بعث الله تعالى إليهم ثلاثة عشر نبيا ، وقال السدى أرسل الله عز وجل إليهم اثنى عشر ألف نبى والله أعلم . وقوله تعالى (فأرسلنا عليهم سيل العرم) المراد بالعرم المياه ، وقيل الوادى وقيل الجرذ وقيل الماء الغزير فيكون من باب اضافة الاسم إلى صفته مثل مسجد الجامع وسعيد كرز ، حكى ذلك السهيلى . وذكر غير واحد منهم ابن عباس ووهب بن منبه وقتادة والضحاك أن الله عز وجل لما أراد عقوبتهم بارسال العرم عليهم بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجرذ نقبته قال وهب بن منبه وقد كانوا يجدون فى كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرذ فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان فلما جاء القدر غلبت الفأر السنانير وولجت إلى السد فنقبته فانهار عليهم وقال قتادة وغيره الجرذ هو الخلد نقبت أسافله حتى إذا ضعف ووهى وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط فانساب الماء فى أسفل الوادى وخرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك ونضب الماء عن

الأشجار التى فى الجبلين عن يمين وشمال فيبست وتحطمت وتبدلت تلك الأشجار المثمرة الأنيقة النضرة كما قال الله تبارك وتعالى (وبدلناهم بجنيتهم جنتين ذواتى أكل خمط) قال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وعطاء الخراسانى والحسن وقتادة والسدى وهو الأراك وأكلة البربر (وأثل) قال العوفى عن ابن عباس هو الطرفاء . وقال غيره هو شجر يشبه الطرفاء وقيل هو السمر والله أعلم . وقوله (وشىء من سدر قليل) لما كان أجود هذه الأشجار المبدل بها هو السدر (قال وشىء من سدر قليل) فهذا الذى صار أمر تينك الجنتين اليه بعد الثمار النضيجة والمناظر الحسنة والظلال العميقة والأنهار الجارية تبدلت إلى شجر الأراك والطرفاء والسدر ذى الشوك الكثير والثمر القليل ، وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل ، ولهذا قال تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور) أى عاقبناهم بكفرهم قال مجاهد ولا يعاقب إلا الكفور . وقال الحسن البصرى صدق الله العظيم لا يعاقب بمثل فعله إلا الكفور . وقال طاوس لا يناقش إلا الكفور . وقال ابن أبي حاتم حدثنا على بن الحسين حدثنا أبو عمر بن النحاس الرملى حدثنا حجاج بن محمد حدثنا أبو البيداء عن هشام بن صالح التغلبى عن ابن خيره وكان من أصحاب على رضى الله عنه قال : جزاء المعصية الوهن فى العبادة والضيق فى المعيشة والتعسر فى اللذة قيل وما التعسر فى اللذة ؟ قال لا يصادف لذة حلال إلا جاءه من ينغصه إياها

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

يذكر تعالى ما كانوا فيه من النعمة والغبطه والعيش الهنى الرغيد ، والبلاد الرخيه ، والأماكن الآمنة والقرى المتواصلة المتقاربة بعضها من بعض مع كثرة أشجارها وزروعها وثمارها بحيث إن مسافرهم لا يحتاج إلى حمل زاد ولا ماء ، بل حيث نزل وجد ماء وثمرا ، ويقيل فى قرية ويبيت فى أخرى بمقدار ما يحتاجون إليه فى سيرهم ولهذا قال تعالى (وجعلنا بينهم وبين القرى التى باركنا فيها) قال وهب بن منبه هى قرى بصنعاء ، وكذا قال أبو مالك ، وقال مجاهد والحسن وسعيد بن جبير ومالك عن زيد بن أسلم وقتادة والضحاك والسدى وابن زيد وغيرهم يعنى قرى الشام يعنون أنهم كانوا يسيرون من اليمن إلى الشام فى قرى ظاهرة متواصلة ، وقال العوفى عن ابن عباس القرى التى باركنا فيها بيت المقدس ، وقال العوفى عنه أيضا هى قرى عربية بين المدينة والشام (قرى ظاهرة) أى بينة واضحة يعرفها المسافرون يقيلون فى واحدة ويبيتون فى أخرى ولهذا قال تعالى (وقدرنا فيها السير) أى جعلناها بحسب ما يحتاج المسافرون إليه (سيروا فيها ليالى وأياما آمنين) أى الأمن حاصل لهم فى سيرهم ليلا ونهارا (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) وقرأ آخرون (بعد بين أسفارنا) وذلك أنهم بطروا هذه النعمة كما قاله ابن عباس ومجاهد والحسن وغير واحد وأحبوا مفاوز ومهامه يحتاجون فى قطعها إلى الزاد والرواحل والسير فى الحرور والمخاوف ، كما طلب بنو إسرائيل من موسى أن يخرج الله لهم مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها مع أنهم كانوا فى عيش رغيد فى من وسلوى وما يشتهون من مآكل ومشارب وملابس مرتفعة ولهذا قال لهم (أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله) وقال عز وجل (وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها) وقال تعالى (وضرب الله مثلا قريه كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) . وقال تعالى فى حق هؤلاء (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم) أى بكفرهم (فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق) أى جعلناهم حديثا للناس وسمراً يتحدثون به من خبرهم وكيف مكر الله بهم وفرق شملهم بعد الاجتماع والألفة والعيش الهنىء تفرقوا فى البلاد

ههنا وههنا ولهذا تقول العرب فى القوم إذا تفرقوا تفرقوا أيدى سبا وأيادى سبا وتفرقوا شذر مذر

وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان حدثنا إبراهيم بن حبيب بن الشهيد قال سمعت أبى يقول سمعت عكرمة يحديث بحديث أهل سبأ قال (لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال — إلى قوله تعالى — فأرسلنا عليهم سيل العرم) وكانت فيهم كهنة وكانت الشياطين يسترقون السمع فأخبروا الكهنة بشىء من أخبار السماء . فكان فيهم رجل كاهن شريف كثير المال وأنه خبر أن زوال أمرهم قد دنا وأن العذاب قد أظلهم فلم يدر كيف يصنع لأنه كان له مال كثير من عقار فقال لرجل من بنيه وهو أعزهم أخوالا يا بنى إذا كان غدا وأمرتك بأمر فلا تفعله فاذا انتهرتك فانتهرنى ، فاذا لطمتك فالطمنى ، قال يا أبت لا تفعل إن هذا أمر عظيم وأمر شديد ، قال يابنى قد حدث أمر لا بد منه فلم يزل به حتى وافاه على ذلك ، فلما أصبحوا واجتمع الناس قال يا بنى افعل كذا وكذا فأبى فانتهره أبوه فأجابه فلم يزل ذلك بينهما حتى تناوله أبوه فلطمه فوثب على أبيه فلطمه فقال ابنى يلطمنى ؟ على بالشفرة ، قالوا ما تصنع بالشفرة ؟ قال أذبحه ، قالوا تريد أن تذبح ابنك : الطمه أو اصنع ما بدا لك قال فأبى قال فأرسلوا إلى أخواله فأعلموهم ذلك فجاء أخواله فقالوا خذمنا ما بدالك فأبى إلا أن يذبحه قالوا فلتموتن قبل أن تذبحه قال فاذا كان الحديث هكذا فإنى لا أرى أن أقيم ببلد يحال بينى وبين ابنى فيه اشتروا منى دورى اشتروا منى أرضى فلم يزل حتى باع دوره وأرضه وعقاره فلما صار الثمن فى يده وأحرزه قال : أى قوم إن العذب قد أظلكم وزوال أمركم قد دنا فمن أراد منكم دارا جديدا وحمى شديدا . وسفرا بعيدا . فليلحق بعمان . ومن أراد منكم الخمر والخمير والعصير . وكلمة قال إبراهيم لم أحفظها — فليلحق ببصرى ومن أراد الراسخات فى الوحل : المطعمات فى المحل . المنعمات فى القحل فليلحق بيثرب ذات نخل فأطاعه قومه فخرج أهل عمان إلى عمان . وخرجت غسان إلى بصرى . وخرجت الأوس والخزرج وبنو عثمان إلى يثرب ذات النخل قال فأتوا على بطن مر فقال بنو عثمان هذا مكان صالح لا نبغى به بدلا فأقاموا به فسموا لذلك خزاعة لأنهم انخزعوا من أصحابهم واستقامت الأوس والخزرج حتى نزلوا المدينة وتوجه أهل عمان إلى عمان وتوجهت غسان إلى بصرى . هذا أثر غريب عجيب وهذا الكاهن هو عمرو بن عامر أحد رؤساء اليمن وكبراء سبأ وكهانهم وقد ذكر محمد بن إسحاق بن يسار فى أول السيرة ما كان من أمر عمرو بن عامر الذى كان أول من خرج من بلاد اليمن بسبب استشعاره بارسال العرم عليهم فقال : وكان سبب خروج عمرو بن عامر من اليمن فيما حدثنى به أبو زيد الأنصارى أنه رأى جرزا يحفر فى سد مأرب الذى كان يحبس عنهم الماء فيصرفونه حيث شاءوا من أرضهم فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك فاعتزم على النقلة عن اليمن وكاد قومه فأمر أصغر ولده فأمر أصغر ولده إذا أغلظ له ولطمه أن يقوم إليه فيلطمه ففعل ابنه ما أمره به فقال عمرو لا أقيم ببلد لطم وجهى فيها أصغر ولدى وعرض أمواله . فقال أشراف من أشراف اليمن اغتنموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله وانتقل هو فى ولده وولد ولده ، وقالت الأسد لا نتخلف عن عمرو بن عامر فباعوا أموالهم وخرجوا معه فساروا حتى نزلوا بلاد عك مجتازين يرتادون البلدان فحاربتهم عك وكانت حربهم سجالا فى ذلك يقول عباس بن مرداس السلمى رضى الله عنه :

وعك بن عدنان الذين تلعبوا ... بغسان حتى طردوا كل مطرد

وهذا البيت من قصيدة له . قال ثم ارتحلوا عنهم فتفرقوا فى البلدان فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام ، ونزلت الأوس والخزرج يثرب ، ونزلت خزاعة مرا . ونزلت أزد السراة السراة ، ونزلت أزد عمان عمان : ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه وفى ذلك أنزل الله عز وجل هذه الآيات . وقد ذكر السدى قصة عمرو بن عامر بنحو مما ذكر محمد بن إسحاق إلا أنه قال فأمرا بن أخيه مكان ابنه — إلى قوله — فباع ماله وارتحل بأهله فتفرقوا رواه ابن أبى حاتم وقال ابن جرير حدثنا ابن حميد أخبرنا سلمة عن ابن إسحاق قال يزعمون أن عمرو بن عامر وهو عم القوم كان كاهنا فرأى فى كهانته أن قومه سيمزقون ويباعد بين أسفارهم . فقال لهم إنى قد علمت أنكم ستمزقون فمن كان منكم ذا هم بعيد وحمل شديد . ومزاد حديد : فليلحق بكاس أو كرود . قال فكانت وادعة بن عمرو . ومن كان منكم ذا هم مدن . وأمر

دعن ، فليلحق بأزض شن،فكانت عوف بن عمرو وهم الذين يقال لهم بارق ، ومن كان منكم يريد عيشا آنيا،وحرما آمنا فليلحق بالأرز بن فكانت خزاعة ، ومن كان منكم يريد الراسيات فى الوحل ، المطعمات فى المحل، فليلحق بيثرب ذات النخل فكانت الأوس والخزرج وهما هذان الحيان من الأنصار ومن كان منكم يريد خمرا وخميرا وذهبا وحريرا ، وملكا وتأميرا ، فليلحق بكوثى وبصرى ، فكانت غسان بنو جفنة ملوك الشام ومن كان منهم بالعراق . قال ابن إسحق وقد سمعت بعض أهل العلم يقول إنما قالت هذه المقالة طريفة امرأة عمرو بن عامر وكانت كاهنة فرأت فى كهانتها ذلك فالله أعلم أى ذلك كان وقال سعيد عن قتادة عن الشعبى أما غسان فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق بالشام ،وأما الأنصار فلحقوا بيثرب ، وأما خزاعة فلحقوا بتهامة ، وأما الأزد فلحقوا بعمان فمزقهم الله كل ممزق . رواه ابن أبى حاتم وابن جرير ، ثم قال محمد بن إسحق حدثنى أبو عبيدة قال : قال الأعشى أعشى بنى قيس بن ثعلبة واسمه ميمون بن قيس :

وفى ذاك للمؤتسى أسوة * ومأرب قفى عليها العرم * رجام بنته لهم حمير * إذا جاء ماؤهم لم يرم

فأروى الزروع وأعنابها * على سعة ماؤهم إذ قسم * فصاروا أيادى مايقدرو * ن منه على شرب طفل فطم

وقوله تعالى (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) أى إن فى هذا الذى حل بهؤلاء من النقمة والعذاب وتبديل النعمة وتحويل العافية عقوبة على ما ارتكبوه من الكفر والآثام لعبرة ودلالة لكل عبد صبار على المصائب شكور على النعم قال الإمام أحمد حدثنا عبدالرحمن وعبدالرزاق المعنى قالا أخبرنا سفيان عن أبى إسحق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد عن أبيه هو سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « عجبت من قضاء الله تعالى للمؤمن إن أصابه خير حمد ربه وشكر ، وإن أصابته مصيبة حمد ربه وصبر ، يؤجر المؤمن فى كل شىء حتى فى اللقمة يرفعها إلى فى امرأته» . وقد رواه النسائى فى اليوم والليلة من حديث أبى إسحق السبيعى به وهو حديث عزيز من رواية عمر بن سعد عن أبيه ولكن له شاهد فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه « عجباً للمؤمن لا يقضى الله تعالى له قضاء إلا كان خيرا له ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له ؛ وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن » . قال عبد حدثنا يونس عن سفيان عن قتادة (إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور) قال كان مطرف يقول: نعم العبد الصبار الشكور الذى إذا أعطى شكر ، وإذا ابتلى صبر

﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾

لما ذكر تعالى قصة سبأ وما كان من أمرهم فى اتباعهم الهوى والشيطان أخبر عنهم وعن أمثالهم ممن اتبع إبليس والهوى وخالف الرشاد والهدى فقال (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) قال ابن عباس رضى الله عنهما وغيره هذه الآية كقوله تعالى إخبارا عن إبليس حين امتنع من السجود لآدم عليه الصلاة السلام ثم قال (أرأيتك هذا الذى كرمت على لئن أخرتن إلى يوم القيامة لأحتنكن ذريته إلا قليلا) وقال (ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) والآيات فى هذا كثيرة ، وقال الحسن البصرى لما أهبط الله آدم عليه الصلاة والسلام من الجنة ومعه حواء هبط إبليس فرحا بما أصاب منهما وقال إذا أصبت من الأبوين ما أضبت فالذرية أضعف وأضعف وكان ذلك فيما من إبليس فأنزل الله عز وجل (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) فقال عند ذلك إبليس لا أفارق ابن آدم ما دام فيه الروح أعده وأمنيه وأخدعه ، فقال الله تعالى وعزتى وجلالى لا أحجب عنه التوبة ما لم يغرغر بالموت . ولا يدعونى إلا أجبته ، ولا يسألنى إلا أعطيته ، ولا يستغفرنى إلا غفرت له رواه ابن أبى حاتم . وقوله تبارك وتعالى (وما كان له عليهم من سلطان) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى من حجة وقال الحسن البصرى والله ما ضربهم بعصا ولا أكرههم على شىء وما كان إلا غرورا وأمانى دعاهم إليها

فأجابوه . وقوله عز وجل (إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك) أى انما سلطناه عليهم ليظهر أمر من هو مؤمن بالآخرة وقيامها والحساب فيها والجزاء فيحسن عبادة ربه عز وجل فى الدنيا ممن هو منها فى شك

وقوله تعالى (وربك على كل شىء حفيظ) أى ومع حفظه ضل من ضل من اتباع إبليس ، وبحفظه وكلاءته سلم من سلم من المؤمنين أتباع الرسل

﴿ قُلِ ٱدْعُوا ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ * وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾

بين تبارك وتعالى أنه الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لا نظير له ولا شريك له بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض فقال (قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله) أى من الآلهة التى عبدت من دونه (لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض) كما قال تبارك وتعالى (والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير) . وقوله تعالى (وما لهم فيهما من شرك) أى لا يملكون شيئاً استقلالا ولا على سبيل الشركة (وما له منهم من ظهير) أى وليس لله من هذه الأنداد من ظهير يستظهر به فى الأمور ، بل الخلق كلهم فقراء إليه عبيد لديه قال قتادة فى قوله عز وجل (وما له منهم من ظهير) من عون يعينه بشىء . ثم قال تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) أى لعظمته وجلاله وكبريائه لا يجترىء أحد أن يشفع عنده تعالى فى شىء إلا بعد إذنه له فى الشفاعة كما قال عز وجل (من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) وقال جل وعلا (وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى) وقال تعالى (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون) ولهذا ثبت فى الصحيحين من غير وجه عن رسول الله ﷺ وهو سيد ولد آدم ، وأكبر شفيع عند الله تعالى أنه حين يقوم المقام المحمود ليشفع فى الخلق كلهم أن يأتى ربهم لفصل القضاء قال « فأسجد لله تعالى فيدعنى ما شاء الله أن يدعنى ، ويفتح على بمحامد لا أحصيها الآن ثم يقال يامحمد ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع تشفع » الحديث بتمامه . وقوله تعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) وهذا أيضاً مقام رفيع فى العظمة وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحى فسمع أهل السموات كلامه ارعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشى ، قاله ابن مسعود رضى الله عنه ومسروق وغيرهما (حتى إذا فزع عن قلوبهم) أى زال الفزع عنها قال ابن عباس وابن عمر رضى الله عنهم وأبو عبد الرحمن السلمى والشعبى وإبراهيم النخعى والضحاك والحسن وقتادة فى قوله عز وجل (حتى إذا فزع عن قلوبهم قالو ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق) يقول خلى عن قلوبهم ، وقرأ بعض السلف ، وجاء مرفوعا إذا فرغ بالغين المعجمة ويرجع إلى الأول فإذا كان كذلك سأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم ؟ فيخبر بذلك حملة العرش للذين يلونهم ثم الذين يلونهم لمن تحتهم حتى ينتهى الخبر إلى أهل السماء الدنيا ، ولهذا قال تعالى (قالوا الحق) أى أخبروا بما قال من غير زيادة ولا نقصان (وهو العلى الكبير) . وقال آخرون بل معنى قوله تعالى (حتى إذا فزع عن قلوبهم) يعنى المشركين عند الاحتضار ويوم القيامة إذا استيقظوا مما كانوا فيه من الغفلة فى الدنيا ورجعت إليهم عقولهم يوم القيامة قالوا ماذا قال ربكم ؟ فقيل لهم الحق وأخبروا به مما كانوا عنه لاهين فى الدنيا قال ابن أبى نجيح عن مجاهد (حتى إذا فزع عن قلوبهم) كشف عنها الغطاء يوم القيامة . وقال الحسن (حتى إذا فزع عن قلوبهم) يعنى ما فيها من الشك والتكذيب وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم (حتى إذا فزع عن قلوبهم) يعنى ما فيها من الشك قال فزع الشيطان عن قلوبهم وفارقهم وأمانيهم وما كان يضلهم (قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير) قال وهذا فى بنى آدم هذا عند الموت أقروا حين لا ينفعهم الاقرار وقد اختار ابن جرير القول الأول أن الضمير عائد على

الملائكة وهذا هو الحق الذى لامرية فيه لصحة الأحاديث فيه والآثار ، ولنذكر منها طرفا يدل على غيره قال البخارى عند تفسير هذه الآية الكريمة فى صحيحه حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا عمرو قال : سمعت عكرمة قال سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول إن نبى الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا قضى الله تعالى الأمر فى السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا للذى قال الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض — ووصف سفيان بيده فحرفها ونشر بين أصابعه — فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا، كذا وكذا فيصدق بتلك الكلمة التى سمعت من السماء » انفرد بإخراجة البخارى دون مسلم من هذا الوجه ، وقد رواه أبوداود والترمذى وابن ماجه من حديث سفيان بن عيينة به والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال الإمام أحمد حدثنا محمد بن جعفر وعبدالرزاق قالا : حدثنا معمر أخبرنا الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ جالسا فى نفر من أصحابه قال عبد الرزاق من الأنصار فرمى بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وسلم « ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا فى الجاهلية » قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم . قلت للزهرى أكان يرمى بها فى الجاهلية ، قال نعم ولكن غلظت حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « فانها لايرمى بها لموت أحد ولا لحياته ولكن ربنا تبارك وتعالى إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسبيح السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم ويخبر أهل كل سماء سماء حتى ينتهى الخبر إلى هذه السماء وتخطف الجن السمع فيرمون ، فما جاءوا به على وجهه فهو حق ولكنهم يفرقون فيه ويزيدون » هكذا رواه الإمام أحمد ، وقد أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث صالح بن كيسان والأوزاعى ويونس ومعقل بن عبيد الله أربعتهم عن الزهرى عن على بن الحسين عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل من الأنصار به وقال يونس عن رجال من الأنصار رضى الله عنهم ، وكذا رواه النسائى فى التفسير من حديث الزبيدى عن الزهرى به ، ورواه الترمذى فيه عن الحسين بن حريث عن الوليد بن مسلم عن الاوزاعى عن الزهرى عن عبيدالله بن عبدالله عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رجل من الأنصار رضى الله عنه والله أعلم .

﴿ حديث آخر ﴾ قال ابن أبى حاتم حدثنا محمد بن عوف وأحمد بن منصور بن سيار الرمادى والسياق لمحمد بن عوف قالا: حدثنا نعيم بن حماد حدثنا الوليد هو ابن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن عبدالله بن أبى زكريا عن رجاء ابن حيوة عن النواس بن سمعان رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا أراد الله تبارك وتعالى أن يوحى بأمره تكلم بالوحى ، فاذا تكلم أخذت السموات منه رجفة — أو قال رعدة — شديدة من خوف الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه الصلاة والسلام فيكلمه الله من وحيه بما أراد فيمضى به جبريل عليه الصلاة والسلام على الملائكة كلما مر بسماء سماء يسأله ملائكتها ماذا قال ربنا ياجبريل ، فيقول عليه السلام: قال الحق وهو العلى الكبير . فيقولون كلهم مثل ماقال جبريل فينتهى جبريل بالوحى إلى حيث أمره الله تعالى من السماء والأرض » وكذا رواه ابن جرير وابن خزيمة عن زكريا ابن أبان المصرى عن نعيم بن حماد به وقال ابن أبى حاتم سمعت أبى يقول : ليس هذا الحديث بالتام عن الوليد بن مسلم رحمه الله وقد روى ابن أبى حاتم من حديث العوفى عن ابن عباس رضى الله عنهما ، وعن قتادة أنهما فسرا هذه الآية بابتداء إيحاء الله تعالى إلى محمد ﷺ بعد الفترة التى كانت بينه وبين عيسى عليه الصلاة والسلام ، ولا شك أن هذا أولى مادخل فى هذه الآية.

﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ * قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

يقول تعالى مقررا تفرده بالخلق والرزق وانفراده بالإلهية أيضا فكما كانوا يعترفون بأنهم لا يرزقهم من السماء والأرض أى بما ينزل من المطر وينبت من الزرع إلا الله فكذلك فليعلموا أنه لا إله غيره وقوله تعالى (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) هذا من باب اللف والنشر أى واحد من الفريقين مبطل ، والآخر محق لا سبيل إلى أن تكونوا أنتم ونحن على الهدى أو على الضلال بل واحد منا مصيب ونحن قد أقمنا البرهان على التوحيد فدل على بطلان ما أنتم عليه من الشرك بالله تعالى ولهذا قال (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو فى ضلال مبين) . قال قتادة قد قال ذلك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم للمشركين والله ما نحن وإياكم على أمر واحد إن أحد الفريقين لمهتد ، وقال عكرمة وزياد بن أبى مريم معناها إنا نحن لعلى هدى وإنكم لفى ضلال مبين . وقوله تعالى (قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون) معناه التبرى منهم أى لستم منا ولا نحن منكم بل ندعوكم إلى الله تعالى وإلى توحيده وإفراد العبادة له فان أجبتم فأنتم منا ونحن منكم وإن كذبتم فنحن برآء منكم وأنتم برآء منا كما قال تعالى (فإن كذبوك فقل لى عملى ولكم عملكم أنتم بريئون مما أعمل وأنا برىء مما تعملون) . وقال عز وجل (قل يا أيها الكافرون * لا أعبد ما تعبدون * ولا أنتم عابدون ما أعبد * ولا أنا عابد ما عبدتم * ولا أنتم عابدون ما أعبد * لكم دينكم ولى دين) وقوله تعالى (قل يجمع بيننا ربنا) أى يوم القيامة يجمع بين الخلائق فى صعيد واحد ثم يفتح بيننا بالحق أى يحكم بيننا بالعدل فيجزى كل عامل بعمله إن خيرا فخير وإن شرا فشر ، وستعلمون يومئذ لمن العزة والنصرة والسعادة الأبدية كما قال تعالى (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون * فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم فى روضة يحبرون * وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة فأولئك فى العذاب محضرون) ولهذا قال عز وجل (وهو الفتاح العليم) أى الحاكم العادل العالم بحقائق الأمور . وقوله تبارك وتعالى (قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء) أى أرونى هذه الآلهة التى جعلتموها لله أندادا وصيرتموها له عدلا (كلا) أى ليس له نظير ولا نديد ولا شريك ولا عديل . ولهذا قال تعالى (بل هو الله) أى الواحد الأحد الذى لا شريك له (العزيز الحكيم) أى ذو العزة الذى قد قهر بها كل شىء وغلبت كل شىء ، الحكيم فى أفعاله وأقواله وشرعه وقدره تبارك وتعالى وتقدس عما يقولون علوا كبيرا والله أعلم

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾

يقول تعالى لعبده ورسوله محمد ﷺ تسليما (وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا) أى إلا إلى جميع الخلائق من المكلفين كقوله تبارك وتعالى (قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا) (تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا) ، (بشيرا ونذيرا) أى تبشر من أطاعك بالجنة وتنذر من عصاك بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) كقوله عز وجل (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) (وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله) قال محمد بن كعب فى قوله تعالى (وما أرسلناك إلا كافة للناس) يعنى إلى الناس عامة وقال قتادة فى هذه الآية أرسل الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم إلى العرب والعجم فأكرمهم على الله تبارك وتعالى أطوعهم لله عز وجل . وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبو عبدالله الظهرانى حدثنا حفص بن عمر العدنى حدثنا الحكم يعنى

ابن أبان عن عكرمة قال سمعت ابن عباس رضى الله عنهما يقول : إن الله تعالى فضل محمداً صلى الله عليه وسلم على أهل السماء وعلى الأنبياء . قالوا يا ابن عباس فبم فضله على الأنبياء ؟ قال رضى الله عنه إن الله تعالى قال (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) وقال للنبي صلى الله عليه وسلم (وما أرسلناك إلا كافة للناس) فأرسله الله تعالى إلى الجن والإنس . وهذا الذى قاله ابن عباس رضى الله عنهما قد ثبت فى الصحيحين رفعه عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلى : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لى الارض مسجدا وطهورا فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبلى وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة » وفى الصحيح أيضا أن رسول الله ﷺ قال « بعثت إلى الأسود والأحمر » قال مجاهد يعنى الجن والإنس وقال غيره يعنى العرب والعجم والكل صحيح. ثم قال عزوجل مخبرا عن الكفار فى استبعادهم قيام الساعة (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وهذه الآية كقوله عزوجل (يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذى آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق) الآية ثم قال تعالى (قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أى لكم ميعاد مؤجل معدود محرر لا يزاد ولا ينقص فاذا جاء فلا يؤخر ساعة ولا يقدم كما قال تعالى (إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر) وقال عزوجل (وما نؤخره إلا لأجل معدود * يوم يأتى لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقى وسعيد) .

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا وَأَسَرُّوا ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَـٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

يخبر تعالى عن تمادى الكفار فى طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن الكريم وبما أخبر به من أمر المعاد ولهذا قال تعالى (وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذى بين يديه) قال الله عزوجل متهددا لهم ومتوعدا ومخبرا عن مواقفهم الذليلة بين يديه فى حال تخاصمهم وتحاجهم (يرجع بعضهم إلى بعض القول يقول الذين استضعفوا) وهم الأتباع (للذين استكبروا) منهم وهم قادتهم وساداتهم (لولا أنتم لكنا مؤمنين) أى لولا أنتم تصدونا لكنا اتبعنا الرسل وآمنا بما جاءونا به ، فيقال لهم القادة والسادة وهم الذين استكبروا (أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم؟) أى نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنا دعتمونا كم فاتبعونا من غير دليل ولا برهان وخالفتم الأدلة والبراهين والحجج التى جاءت بها الرسل لشهوتكم واختياركم لذلك ولهذا قالوا (بل كنتم مجرمين * وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار) أى بل كنتم تمكرون بنا ليلا ونهارا وتغرونا وتمنونا وتخبرونا أنا على هدى وأنا على شىء فاذا جميع ذلك باطل وكذب ومين ، قال قتادة وابن زيد (بل مكر الليل والنهار) يقول بل مكركم بالليل والنهار وكذا قال مالك عن زيد بن أسلم مكركم بالليل والنهار (إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أى نظراء وآلهة معه وتقيموا لنا شبها وأشياء من المحال تضلونا بها (وأسروا الندامه لما رأوا العذاب) أى الجميع من السادة والأتباع كل ندم على ما سلف منه (وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا) وهى السلاسل التى تجمع أيديهم مع أعناقهم (هل يجزون إلا ما كانو يعملون) أى إنما نجازيكم بأعمالكم كل بحسبه للقادة عذاب بحسبهم وللأتباع بحسبهم (قال لكل ضعف

ولكن لا تعلمون) قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا فروة بن أبي المغراء حدثنا محمد بن سليمان بن الأصبهاني عن أبي سنان ضرار بن صرد عن عبد الله بن أبي الهذيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن جهنم لما سيق إليها أهلها تلقاهم لهبها ثم لفحتهم لفحة فلم يبق لحم إلا سقط على العرقوب » وحدثنا أبي حدثنا أحمد بن أبي الحواري حدثنا الطيب أبو الحسن عن الحسن بن يحيى الخشني قال ما في جهنم دار ولا مغار ولا غل ولا قيد ولا سلسلة إلا اسم صاحبها عليها مكتوب قال فحدثته أبا سليمان يعني الداراني رحمة الله عليه فبكى ثم قال ويحك فكيف به لو جمع هذا كله عليه فجعل القيد في رجليه والغل في يديه والسلسلة في عنقه ثم أدخل النار وأدخل المغار ؟ اللهم سلم

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ * وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ * وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ * قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾

يقول تعالى مسلياً لنبيه ﷺ وآمراً له بالتأسي بمن قبله من الرسل ومخبره بأنه ما بعث نبيا في قرية إلا كذبه مترفوها واتبعه ضعفاؤهم كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون) (وما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي) وقال الكبراء من قوم صالح (للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه ؟ قالو إنا بما أرسل به مؤمنون * قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون) وقال عز وجل (وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين) وقال تعالى (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها) وقال جل وعلا (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) وقال جل وعلا ههنا (وما أرسلنا في قرية من نذير) أي نبي أو رسول (إلا قال مترفوها) وهم أولو النعمة والحشمة والثروة والرياسة ، قال قتادة هم جبابرتهم وقادتهم ورءوسهم في الشر (إنا بما أرسلتم به كافرون) أي لا نؤمن به ولا نتبعه ، قال ابن أبي حاتم حدثنا علي بن الحسين حدثنا هارون بن إسحاق حدثنا محمد بن عبد الوهاب عن سفيان عن عاصم عن أبي رزين قال كان رجلان شريكان خرج أحدهما إلى الساحل وبقي الآخر فلما بعث النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى صاحبه يسأله ما فعل . فكتب إليه أنه لم يتبعه أحد من قريش إنما اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فترك تجارته ثم أتى صاحبه فقال دلني عليه قال وكان يقرأ الكتب أو بعض الكتب قال فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إلام تدعو ؟ قال « أدعو إلى كذ وكذا » قال أشهد أنك رسول الله . قال ﷺ « وما علمك بذلك ؟ » قال إنه لم يبعث نبي إلا اتبعه أراذل الناس ومساكينهم قال فنزلت هذه الآية (وما أرسلنا في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا بما أرسلتم به كافرون) الآية قال فأرسل إليه النبي ﷺ إن الله عز وجل قد أنزل تصديق ما قلت وهكذا قال هرقل لأبي سفيان حين سأله عن تلك المسائل قال فيها وسألتك أضعفاء الناس اتبعه أم أشرافهم فزعمت بل ضعفاؤهم وهم أتباع الرسل . وقال تبارك وتعالى إخبارا عن المترفين المكذبين (وقالوا نحن أكثر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبين) أي افتخروا بكثرة الأموال والأولاد واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله تعالى لهم واعتنائه بهم وأنه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا ثم يعذبهم في الآخرة وهيهات

لهم ذلك قال الله تعالى (أيحسبون أنما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم فى الخيرات بل لا يشعرون) وقال تبارك وتعالى (فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون) وقال عزوجل (ذرنى ومن خلقت وحيدا* وجعلت له مالا ممدودا* وبنين شهودا* ومهدت له تمهيدا* ثم يطمع أن أزيد* كلا إنه كان لآياتنا عنيدا* سأرهقه صعودا) وقد أخبر الله عز وجل عن صاحب تينك الجنتين أنه كان ذا مال وثمر وولد ثم لم يغن عنه شيئا بل سلب ذلك كله فى الدنيا قبل الآخرة ولهذا قال عز وجل هاهنا (قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يعطى المال لمن يحب ومن لا يحب فيفقر من يشاء ويغنى من يشاء وله الحكمة التامة البالغة والحجة القاطعة الدامغة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) ثم قال تعالى (وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى) أى ليست هذه دليلا على محبتنا لكم ولا إعتنائنا لكم . قال الإمام أحمد رحمه الله حدثنا كثير حدثنا جعفر حدثنا يزيد بن الأصم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال « إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن إنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم » ورواه مسلم وابن ماجه من حديث كثير بن هشام عن جعفر بن برقان به ، ولهذا قال الله تعالى (إلا من آمن وعمل صالحا) أى إنما يقربكم عندنا زلفى الإيمان والعمل الصالح (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أى تضاعف لهم الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف (وهم فى الغرفات آمنون) أى فى منازل الجنة العالية آمنون من كل بأس وخوف وأذى ومن كل شر يحذر منه . قال ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا فروة بن أبى المغراء الكندى حدثنا القاسم وعلى بن مسهر عن عبدالرحمن بن إسحق عن النعمان بن سعد عن على رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « إن فى الجنة لغرفا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها » فقال أعرابى لمن هى ؟ قال صلى الله عليه وسلم « لمن طيب الكلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام » (والذين يسعون فى آياتنا معاجزين) أى يسعون فى الصد عن سبيل الله واتباع رسله والتصديق بآياته (فأولئك فى العذاب محضرون) أى جميعهم مجزيون بأعمالهم فيها بحسبهم . وقوله تعالى (قل إن ربى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له) أى بحسب ماله فى ذلك من الحكمة يبسط على هذا من المال كثيرا ويضيق على هذا ويقتر على هذا رزقه جدا وله فى ذلك من الحكمة مالا يدركها غيره كما قال تعالى (انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفصيلا) أى كما هم متفاوتون فى الدنيا هذا فقير مدقع وهذا غنى موسع عليه فكذلك هم فى الآخرة هذا فى الغرفات فى أعلى الدرجات وهذا فى الغمرات فى أسفل الدركات ؛ وأطيب الناس فى الدنيا كما قال صلى الله عليه وسلم « قد أفلح من أسلم ورزق كفافا وقنعه الله بما آتاه » رواه مسلم من حديث ابن عمر رضى الله عنهما . وقوله تعالى (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه) أى مهما أنفقتم من شىء فيما أمركم به وأباحه لكم فهو يخلفه عليكم فى الدنيا بالبدل وفى الآخرة بالجزاء والثواب كما ثبت فى الحديث « يقول الله تعالى أنفق أنفق عليك » وفى الحديث أن ملكين يصبحان كل يوم يقول أحدهما : اللهم أعط ممسكا تلفا ويقول الآخر : اللهم أعط منفقا خلفا ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أنفق بلالا ، ولا تخش من ذى العرش إقلالا » وقال ابن أبى حاتم حدثنا أبى عن يزيد بن عبد العزيز الفلاس حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغنى عن حذيفة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض يعض الموسر على ما فى يده حذار الانفاق » ثم تلا هذه الآية (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) وقال الحافظ أبو يعلى الموصلى حدثنا روح بن حاتم حدثنا هشيم عن الكوثر بن حكيم عن مكحول قال بلغنى عن حذيفة رضى الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا إن بعد زمانكم هذا زمان عضوض يعض الموسر على ما فى يده حذار الانفاق » قال الله تعالى (وما أنفقتم من شىء فهو يخلفه وهو خيرا الرازقين) وفى الحديث « شرار الناس يبايعون كل مضطر ألا إن بيع المضطرين حرام ، ألا إن بيع المضطرين حرام ، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله إن كان عندك معروف فعد به على أخيك وإلا فلا تزده هلاكا إلى هلاكه » هذا حديث غريب من هذا الوجه وفى إسناده ضعف وقال سفيان الثورى عن أبى يونس الحسن بن يزيد

قال : قال مجاهد لا يتأولن أحدكم هذه الآية (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) إذا كان عند أحدكم ما يقيمه فليقصد فيه فأن الرزق مقسوم

﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ * فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾

يخبر تعالى أنه يقرع المشركين يوم القيامة على رءوس الخلائق فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنهم يعبدون الأنداد التي هي على صورهم ليقربوهم إلى الله زلفى فيقول للملائكة (أهؤلاء إياكم كانو يعبدون) أي أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم كما قال تعالى في سورة الفرقان (أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل) وكما يقول لعيسى عليه الصلاة والسلام (أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق) وهكذا تقول الملائكة (سبحانك) أي تعاليت وتقدست عن أن يكون معك إله (أنت ولينا من دونهم) أي نحن عبيدك ونبرأ إليك من هؤلاء (بل كانوا يعبدون الجن) يعنون الشياطين لأنهم هم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم (أكثرهم بهم مؤمنون) كما قال تبارك وتعالى (إن يدعون من دونه إلا إناثا وإن يدعون إلا شيطانا مريدا * لعنه الله) قال الله عز وجل (فاليوم لا يملك بعضكم لبعض نفعاً ولا ضراً) أي لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكربكم ، اليوم لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا (ونقول للذين ظلموا) وهم المشركون (ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون) أي يقال لهم ذلك تقريعا وتوبيخا .

﴿ وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا إِفْكٌ مُفْتَرًى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ * وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴾

يخبر تعالى عن الكفار أنهم يستحقون منه العقوبة والأليم من العذاب لأنهم كانوا إذا تتلى عليهم آياته بينات يسمعونها غضة طرية من لسان رسوله ﷺ (قالوا ما هذا إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم) يعنون أن دين آبائهم هو الحق وأن ما جاءهم به الرسول عندهم باطل ، عليهم وعلى آبائهم لعائن الله تعالى (وقالوا ما هذا إلا إفك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) قال الله تعالى (وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أي ما أنزل الله على العرب من كتاب قبل القرآن وما أرسل إليهم نبياً قبل محمد ﷺ وقد كانوا يودون ذلك ويقولون لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب لكنا أهدى من غيرنا ، فلما من الله عليهم بذلك كذبوه وجحدوه وعاندوه ثم قال تعالى (وكذب الذين من قبلهم) أي من الأمم (وما بلغوا معشار ما آتيناهم) قال ابن عباس رضي الله عنهما أي من القوة في الدنيا . وكذلك قال قتادة والسدي وابن زيد كما قال تعالى (ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون * أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة) أي وما دفع ذلك

عنهم عذاب الله ولا رده ، بل دمر الله عليهم لما كذبوا رسله ولهذا قال (فكذبوا رسلى فكيف كان نكير) أى فكيف كان عقابى ونكالى وانتصارى لرسلى

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنك مجنون (إنما أعظكم بواحدة) أى إنما آمركم بواحدة وهى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) أى تقوموا قياما خالصاً لله عز وجل من غير هوى ولا عصبية فيسأل بعضكم بعضاهل بمحمد من جنون فينصح بعضكم بعضا (ثم تتفكروا) أى ينظر الرجل لنفسه فى أمر محمد صلى الله عليه وسلم ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه ويتفكر فى ذلك ولهذا قال تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة) هذا معنى ما ذكره مجاهد ومحمد بن كعب والسدى وقتادة وغيرهم وهذا هو المراد من الآية فأما الحديث الذى رواه ابن أبى حاتم حدثنا أبى حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة ابن خالد حدثنا عثمان بن أبى العاتكة عن على بن يزيد عن القاسم عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول « أعطيت ثلاثا لم يعطهن أحد قبلى ولا فخر . أحلت لى الغنائم ولم تحل لمن قبلى، كانوا قبلى يجمعون غنائمهم فيحرقونها . وبعثت إلى كل أحمر وأسود، وكان كل نبى يبعث إلى قومه خاصة ، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهورا أتيمم بالصعيد وأصلى فيها حيث أدركتنى الصلاة قال الله تعالى (أن تقوموا لله مثنى وفرادى) وأعنت بالرعب مسير شهر بين يدى» فهو حديث ضعيف الإسناد ، وتفسير الآية بالقيام فى الصلاة فى جماعة وفرادى بعيد ولعله مقحم فى الحديث من بعض الرواة فان أصله ثابت فى الصحاح وغيرها والله أعلم

وقوله تعالى (إن هو إلا نذير لكم بين يدى عذاب شديد) قال البخارى عندها حدثنا على بن عبد الله حدثنا محمد ابن حازم حدثنا الأعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : صعد النبى صلى الله عليه وسلم الصفا ذات يوم فقال « يا صباحاه » فاجتمعت إليه قريش فقالوا مالك ؟ فقال « أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم أما كنتم تصدقونى » قالوا بلى ؟ قال صلى الله عليه وسلم « فانى نذير لكم بين يدى عذاب شديد » فقال أبو لهب تبا لك ألهذا جمعتنا . فأنزل الله عز وجل (تبت يدا أبى لهب وتب)وقد تقدم عند قوله تعالى(وأنذر عشيرتك الأقربين) وقال الإمام أحمد حدثنا أبو نعيم حدثنا بشير بن المهاجر حدثنى عبد الله بن بريدة عن أبيه رضى الله عنه قال : خرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فنادى ثلاث مرات فقال « أيها الناس تدرون ما مثلى ومثلكم ؟ » قالوا الله تعالى ورسوله أعلم . قال ﷺ « إنما مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم فبينما هو كذلك أبصر العدو فأقبل لينذرهم وخشى أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فأهوى بثوبه ، أيها الناس أوتيتم أيها الناس أوتيتم » ثلاث مرات ، وبهذا الإسناد قال: قال رسول ﷺ « بعثت أنا والساعة جميعا إن كادت لتسبقنى » تفرد به الإمام أحمد فى مسنده

﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ * قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ * قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ * قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾

يقول تعالى آمراً رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول للمشركين (ما سألتكم من أجر فهو لكم) أى لا أريد

منكم جعلا ولا عطاء على أداء رسالة الله عز وجل إليكم ونصحى إياكم وأمركم بعبادة الله (إن أجرى إلا على الله) أى إنما أطلب ثواب ذلك من عند الله (وهو على كل شىء شهيد) أى عالم بجميع الأمور بما أنا عليه من إخبارى عنه بارساله إياى إليكم وما أنتم عليه . وقوله عز وجل (قل إن ربى يقذف بالحق علام الغيوب) كقوله تعالى (يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده) أى يرسل الملك إلى من يشاء من عباده من أهل الأرض وهو علام الغيوب فلا تخفى عليه خافية فى السموات ولا فى الأرض وقوله تبارك وتعالى (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) أى جاء الحق من الله والشرع العظيم وذهب الباطل وزهق واضمحل كقوله تعالى (بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فاذا هو زاهق) ولهذا لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد الحرام يوم الفتح ووجد تلك الأصنام منصوبة حول الكعبة جعل يطعن الصنم منها بسية قوسه ويقرأ (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن كان الباطل زهوقا) (قل جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد) رواه البخارى ومسلم والترمذى والنسائى وحده عند هذه الآية كلهم من حديث الثورى عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن أبى معمر عبد الله بن سخبرة عن ابن مسعود رضى الله عنه به ، أى لم يبق للباطل مقالة ولا رياسة ولا كلمة ، وزعم قتادة والسدى أن المراد بالباطل هاهنا إبليس أى أنه لا يخلق أحدا ولا يعيده ولا يقدر على ذلك وهذا وإن كان حقا ولكن ليس هو المراد ههنا والله أعلم . وقول تبارك وتعالى (قل إن ضللت فانما أضل على نفسى وإن اهتديت فبما يوحى إلى ربى) أى الخير كله من عنده لله وفيما أنزل الله عز وجل من الوحى والحق المبين فيه الهدى والبيان والرشاد ومن ضل فانما يضل من تلقاء نفسه كما قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه لما سئل عن تلك المسئلة فى المفوضة أقول فيها برأيى فان يكن صوابا فمن الله وإن يكن خطأ فمنى ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه . وقوله تعالى (إنه سميع قريب) أى سميع لأقوال عباده قريب يجيب دعوة الداعى إذا دعاه ، وقد روى النسائى ههنا حديث أبى موسى الذى فى الصحيحين « إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا إنما تدعون سميعا قريبا مجيبا »

﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّىٰ لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴾

يقول تبارك وتعالى ولو ترى يا محمد إذا فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة فلا فوت أى فلا مفر لهم ولا وزر لهم ولا ملجأ (وأخذوا من مكان قريب) أى لم يمكنوا أن يمعنوا فى الهرب بل أخذوا من أول وهلة. قال الحسن البصرى حين خرجوا من قبورهم وقال مجاهد وعطية العوفى وقتادة من تحت أقدامهم ، وعن ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك يعنى عذابهم فى الدنيا ، وقال عبد الرحمن بن زيد يعنى قتلهم يوم بدر والصحيح أن المراد بذلك يوم القيامة وهو الطامة العظمى ، وإن كان ماذكر متصلا بذلك ، وحكى ابن جرير عن بعضهم قال إن المراد بذلك جيش يخسف بهم بين مكة والمدينة فى أيام بنى العباس رضى الله عنهم . ثم أورد فى ذلك حديثا موضوعا بالكلية ثم لم ينبه على ذلك وهذا أمر عجيب غريب منه (وقالوا آمنا به) أى يوم القيامة يقولون آمنا بالله وملائكته وكتبه ورسله كما قال تعالى (ولو ترى إذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا إنا موقنون) ولهذا قال تعالى (وأنى لهم التناوش من مكان بعيد) أى وكيف لهم تعاطى الإيمان وقد بعدوا عن محل قبوله منهم وصاروا إلى الدار الآخرة وهى دار الجزاء لا دار الابتلاء فلو كانوا آمنوا فى الدنيا لكان ذلك نافعهم ولكن بعد مصيرهم إلى الدار الآخرة لا سبيل لهم إلى قبول الإيمان كما لا سبيل إلى حصول الشىء لمن يتناوله من بعيد . قال مجاهد (وأنى لهم التناوش) قال التناول لذلك .وقال الزهرى : التناوش تناولهم الإيمان وهم فى الآخرة وقد انقطعت عنهم الدنيا ، وقال الحسن البصرى أما إنهم طلبوا الأمر من حيث لا ينال تعاطوا الإيمان من مكان بعيد ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما : طلبوا الرجعة إلى الدنيا

والتوبه تمامهم فيه وليس بحين رجعة ولا توبة . وكذا قال محمد بن كعب القرظى رحمه الله . وقوله تعالى (وقد كفروا به من قبل) أى كيف يحصل لهم الإيمان فى الآخرة وقد كفروا بالحق فى الدنيا وكذبوا الرسل (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قال مالك عن زيد بن أسلم (ويقذفون بالغيب) قال بالظن قلت كما قال تعالى (رجما بالغيب) فتارة يقولون شاعر وتارة يقولون كاهن وتارة يقولون ساحر وتارة يقولون مجنون إلى غير ذلك من الأقوال الباطلة ، ويكذبون بالبعث والنشور والمعاد (ويقولون إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين) قال قتادة ومجاهد يرجمون بالظن لا بعث ولا جنة ولا نار وقوله تعالى (وحيل بينهم وبين مايشتهون) قال الحسن البصرى والضحاك وغيرهما يعنى الإيمان وقال السدى (وحيل بينهم وبين مايشتهون) وهى التوبة وهذا اختيار ابن جرير رحمه الله . وقال مجاهد (وحيل بينهم وبين مايشتهون) من هذه الدنيا من مال وزهرة وأهل ، وروى نحوه عن ابن عمر وابن عباس والربيع ابن أنس رضى الله عنهم وهو قول البخارى وجماعة والصحيح أنه لا منافاة بين القولين فانه قد حيل بينهم وبين شهواتهم فى الدنيا وبين ماطلبوه فى الآخرة فمنعوا منه . وقد ذكر ابن أبى حاتم ههنا أثراً غريباً عجيباً جدا فنذكره بطوله فانه قال : حدثنا محمد بن يحيى حدثنا بشر بن حجر الشامى حدثنا على بن منصور الأنبارى عن الرقى بن قطامى عن سعيد ابن طريف عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله عز وجل (وحيل بينهم وبين مايشتهون) إلى آخر الآية قال كان رجل من بنى إسرائيل فاتحاً إن يتح الله تعالى له مالا فمات فورثه ابن له تافه أى فاسد فكان يعمل فى مال الله تعالى بمعاصى الله تعالى عز وجل فلما رأى ذلك أخوات أبيه أتوا الفتى فعذلوه ولاموه فضجر الفتى فباع عقاره بصامت ثم رحل فأتى عينا ثجاجة فسرح فيها ماله وابتنى قصرا فبينما هو ذات يوم جالس إذ شملت عليه ريح بامرأة من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا أى ريحا فقالت من أنت ياعبد الله ؟ فقال أنا امرؤ من بنى إسرائيل قالت فلك هذا القصر وهذا المال ؟ فقال نعم . قالت فهل لك من زوجة ، قال لا . قالت فكيف يهنيك العيش ولا زوجة لك ، قال قد كان ذاك ، قال فهل لك من بعل ، قالت لا قال فهل لك إلى أن أتزوجك ، قالت إنى امرأة منك على مسيرة ميل فاذا كان غد فتزود زاد يوم وائتنى وإن رأيت فى طريقك هولا فلا يهولنك فلما كان من الغد تزود زاد يوم وانطلق فانتهى إلى قصر فقرع رتاجه فخرج اليه شاب من أحسن الناس وجها وأطيبهم أرجا أى ريحا فقال من أنت ياعبدالله ، فقال أنا الإسرائيلى قال فما حاجتك ، قال دعتنى صاحبة هذا القصر إلى نفسها قال صدقت ، قال فهل رأيت فى الطريق هولا ، قال نعم ولولا أنها أخبرتنى أن لا بأس على لهالنى الذى رأيت قال مارأيت ، قال أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا بكلبة فاتحة فاها ففزعت فوثبت فإذا أنا من ورائها وإذا جراؤها ينبحن فى بطنها فقال له الشاب لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان يقاعد الغلام المشيخة فى مجلسهم ويسرهم حديثه ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا بمائة عنز حفل وإذا فيها جدى يمصها فاذا أتى عليها وظن أنه لم يترك شيئاً فتح فاه يلتمس الزيادة فقال لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان ملك يجمع صامت الناس كلهم حتى إذا ظن أنه لم يترك شيئاً فتح فاه يلتمس الزيادة ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا بشجر فأعجبنى غصن من شجرة منها ناضرة فأردت قطعه فنادتنى شجرة أخرى ياعبد الله منى فخذ حتى نادانى الشجر أجمع يا عبد الله منى فخذ فقال لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان يقل الرجال ويكثر النساء حتى إن الرجل ليخطب المرأة فتدعوه العشر والعشرون إلى أنفسهن ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل فاذا أنا برجل قائم على عين يغرف لكل إنسان من الماء فإذا تصدعوا عنه صب فى جرته فلم تعلق جرته من الماء بشىء ، قال لست تدرك هذا ، هذا يكون فى آخر الزمان القاص يعلم الناس العلم ثم يخالفهم إلى معاصى الله تعالى ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا بعنز وإذا بقوم قد أخذوا بقوائمها وإذا رجل قد أخذ بقرنيها وإذا رجل قد أخذ بذنبها وإذا راكب قد ركبها وإذا رجل يحتلبها فقال أما العنز فهى الدنيا والذين أخذوا بقوائمها يتساقطون من عيشها ، وأما الذى أخذ بقرنيها فهو يعالج من عيشها ضيقا . وأما الذى أخذ بذنبها فقد أدبرت عنه ، وأما الذى ركبها فقد

تركها ؟ وأما الذى يحلبها فبخ بخ ذهب ذلك بها ، قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا برجل يمتح على قليب كلما أخرج دلوه صبه فى الحوض فانساب الماء راجعا إلى القليب قال هذا رجل رد الله عليه صالح عمله فلم يقبله قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا برجل يبذر بذرا فيستحصد فاذا حنطة طيبة قال هذا رجل قبل الله صالح عمله وأزكاه له . قال ثم أقبلت حتى إذا انفرج بى السبيل إذا أنا برجل مستلق على قفاه قال ياعبد الله: ادن منى فخذ بيدى وأقعدنى فوالله ماقعدت منذ خلقنى الله تعالى فأخذت بيده فقام يسعى حتى ما أراه فقال له الفتى هذا عمر الأبعد نفد ، أنا ملك الموت وأنا المرأة التى أتتك أمرنى الله تعالى بقبض روح الأبعد فى هذا المكان ثم أصيره إلى نار جهنم قال ففيه نزلت هذه الآية (وحيل بينهم وبين مايشتهون) الآية هذا أثر غريب وفى صحته نظر ، وتنزيل الآية عليه وفى حقه بمعنى أن الكفار كلهم يتوفون وأرواحهم متعلقة بالحياة الدنيا كما جرى لهذا المغرور المفتون ذهب يطلب مراده فجاءه ملك الموت فجأة بغتة وحيل بينه وبين ما يشتهى . وقوله تعالى (كما فعل بأشياعهم من قبل) أى كما جرى للأمم الماضية المكذبة بالرسل لما جاءهم بأس الله تمنوا أن لو آمنوا فلم يقبل منهم (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين * فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون) . وقوله تبارك وتعالى (إنهم كانوا فى شك مريب) أى كانوا فى الدنيا فى شك وريبة فلهذا لم يتقبل منهم الإيمان عند معاينة العذاب : قال قتادة إياكم والشك والريبة فان من مات على شك بعث عليه ، ومن مات على يقين بعث عليه . آخر تفسير سورة سبأ والله سبحانه وتعالى الموفق للصواب

﴿ تفسير سورة فاطر وهى مكية ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾

﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُولِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾

قال سفيان الثورى عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما: قال كنت لا أدرى مافاطر السموات والأرض حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر فقال أحدهما لصاحبه أنا فطرتها أى بدأتها وقال ابن عباس رضى الله عنهما أيضا (فاطر السموات والأرض) أى بديع السموات والأرض ، وقال الضحاك كل شىء فى القرآن فاطر السموات والأرض فهو خالق السموات والأرض . وقوله تعالى (جاعل الملائكة رسلا) أى بينه بين أنبيائه (أولى أجنحة) أى يطيرون بها ليبلغوا ما أمروا به سريعا (مثنى وثلاث ورباع) أى منهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة ومنهم من له أربعة ومنهم من له أكثر من ذلك كما جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى جبريل عليه السلام ليلة الإسراء وله ستمائة جناح بين كل جناحين كما بين المشرق والمغرب ولهذا قال جل وعلا (يزيد فى الخلق مايشاء إن الله على كل شىء قدير) قال السدى يزيد فى الأجنحة وخلقهم مايشاء وقال الزهرى وابن جريج فى قوله تعالى (يزيد فى الخلق مايشاء) يعنى حسن الصوت رواه عن الزهرى البخارى فى الأدب وابن أبى حاتم فى تفسيره وقرئ فى الشاذ (يزيد فى الحلق) بالحاء المهملة والله أعلم .

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾

يخبر تعالى أنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه لامانع لما أعطى ولا معطى لما منع . قال الإمام أحمد حدثنا على ابن عاصم حدثنا مغيرة أخبرنا عامر عن وراد مولى المغيرة بن شعبة قال إن معاوية كتب إلى المغيرة بن شعبة اكتب لى بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعانى المغيرة فكتبت اليه إنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا انصرف من الصلاة « لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، له الملك وله الحمد